الفصل الثاني

سليمان الملك الحكيم

منذ بداية الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول يظهر سليمان عليه السلام كملك. لكن هذا الملك حسب النص التوراتي يظهر تارة عظيماً يصاهر فرعون مصر وتارة يظهر شاباً صغيراً لا يعرف كيف يحكم. وهذا بالطبع من أبسط التناقضات التي نراها من الآن فصاعداً في سيرة النبي سليمان حسب النص التوراتي.

تقول التوراة: وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها. إلا أن الشعب كانوا يذبحون في المرتفعات لأنه لم يُبنَ بيت لاسم الرب إلى تلك الأيام.

وفي نفس الإصحاح وبعد عدة أسطر تورد التوراة النص التالي:

(في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلاً. وقال له اسأل ماذا أعطيك).

وتقول إن سليمان خاطب ربه قائلاً: (أيها الرب إلهي أنت ملكت عبدك مكان داود أبي وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول) ـ 5 ـ 8.

إذاً فالنبي سليمان يتحدث في حلمٍ ما مع ربه ويقول إنه تملك وهو فتى صغير.

والسؤال المطروح كيف يقول عن نفسه إنه فتى صغير وفي الوقت نفسه تقول التوراة في بداية الإصحاح إنه صاهر فرعون وأتى بابنته إلى مدينة داود؟

وهو يقول إنه لا يعرف الخروج والدخول. فإذا كان لا يعرف ذلك فكيف اتصل بفرعون ووافق على مصاهرته. فالتوارة تارة تريد أن ترفع من الملك سليمان بقولها إنه تزوج من بنت فرعون وتارة تهبط به لتقول عنه أنه طفل باعترافه لا يعرف الخروج والدخول.

ثم إذا رجعنا إلى الدراسات التاريخية سوف نرى عدم وجود أية علاقة بين النبي سليمان والفراعنة في بداية عهده بالملك. قد يكون النبي سليمان قد جعل بينه وبين الفراعنة علاقة ما بعد تكليفه بالنبوة. وهو مكلف من الله سبحانه بالدعوة إلى التوحيد. وقد تكون هذه العلاقة أدت إلى توطيد الصداقة بينه وبينهم حتى وصلت حد المصاهرة، وليس شرطاً أن تكون ابنة فرعون هي التي اتخذها سليمان زوجة.

وفي الإصحاح الرابع وبدءاً من الفقرة 21 تبدأ التوراة بالحديث التفصيلي عن ملك سليمان فهو كما تقول التوراة: إنه كان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر وكانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته.

وتحدثت التوراة عن طعام سليمان الكثير. وتقول التوراة وكان له صلح من جميع جوانبه حواليه.

وتبدأ المبالغات تأخذ مجراها حين تقول: وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته واثنا عشر ألف فارس.

وتقول: وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع الناس. وتكلم بثلاثة آلاف مَثَلٍ وكانت نشائده ألفاً وخمساً.

أما بالنسبة للحكمة التي تمتع بها سليمان عليه السلام فهي صحيحة لأن هذا النبي كما وصفه القرآن الكريم كان يلهمه الله القضاء والحكمة. أما بالنسبة لقولها كان له أربعون ألف مذود لخيل مركباته. فهذا من مبالغات التوراة وعدم المعرفة الحقيقية بقوة جيوش الملك سليمان.

وبدءاً من الإصحاح الخامس تتحدث التوراة عن نية الملك سليمان بناء بيت للرب فتقول: (فأرسل سليمان إلى حيرام يقول أنت تعلم داود أبي أنه لم يستطع أن يبني بيتاً لاسم الرب إلهه بسبب الحروب التي أحاطت به...

وهأنذا قائل على بناء بيت لاسم الرب إلهي كما كلم الرب داود أبي قائلاً إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي والآن فأمر أن يقطعوا لي أرزاً من لبنان ويكون عبيدي مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إياها حسب كل ما تقول لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح جداً وقال مبارك اليوم الرب الذي أعطى داود ابناً حكيماً على هذا الشعب الكثير).

وفي هذا النص نتوقف عند عدة نقاط:

1 ـ في أول الإصحاح تقول التوارة: وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان لأنه سمع أنه مسحوه ملكاً مكان أبيه لأن حيرام كان محباً لداود كل الأيام). لذلك تقول: إن هذا الكلام يدل على علاقة وطيدة بين حيرام وداود عليه السلام. وعندما تقول التوراة إن حيرام قال

مبارك اليوم الرب الذي أعطى داود ابناً حكيماً: فإن ذلك يعني أن حيرام كان قد آمن بدين داود وإلهه وهذا ما يؤكد أن داود كان يدعو إلى دين التوحيد ويقيم علاقات محبة مع الناس وهذا أيضاً يؤكد أن داود كان على علاقة حميمة مع الكنعانيين.

2 ـ ولكن يظهر التناقض في التوراة في فقرتين مرتا في النص.

فهي تقول (وأرسل حيرام ملك صور...).

وفي نفس الفقرة تقول: (ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين).

فحيرام ملك صور وليس ملك صيدا.

فمن المفترض أن يقول مثل الصوريين باعتبار أن الرسالة الشفوية بُعثت لملك صور فما شأن ملك صور بالصيدونيين؟

ولو قالت عن حيرام إنه ملك صور وصيدا لحُلت المشكلة دون نقاش.

3 ـ والنقطة الثالثة وهي أن سليمان عليه السلام طلب خشب الأرز والسرو. فمن أجل ماذا طلب هذا الخشب؟ أليس لبناء بيت للرب؟ إن الخشب الذي طلبه هو لأجل بناء المعبد. فالمعبد إذاً ليس كما تدعي التوراة. إنما هو معبد من خشب يمكن أن يُباد في أي حملة عسكرية أو أن يحرق ولا يبقى منه أثر وسنناقش هذا الأمر بالتفصيل في صفحات قادمة.

ومن المبالغات الكبيرة التي قالتها التوراة ما وصفت به بدء بناء معبد الرب المنسوب إلى النبي سليمان.

تقول التوراة: وسخّر الملك سليمان من جميع إسرائيل وكانت السُّخر ثلاثين ألف رجل فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر بالنوبة يكونون شهراً في لبنان وشهرين في بيوتهم. وكان أدونيرام على التسخير وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً وثمانون ألفاً يقطعون في الجبل ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاثمائة المتسلطين على الشعب العاملين العمل وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة فنحتها بناؤو سليمان وبناؤو حيرام والجبليون وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت.

ونلاحظ هنا الأرقام الخيالية التي تذكرها التوراة. وهذه الأعداد ليست لمجرد بناء بيت إنما هي لبناء عشرات الأبنية.

وعندما تقول التوراة إن عشرة آلاف شخص كانوا يعملون في قطع الأشجار. ويتناوبون مع عشرة آلاف غيرهم فإن هذا يعني أنهم قطعوا أشجار لبنان كلها وليس أشجار صور وصيدا. والغريب أن التوراة تقول إن ثمانين ألف رجل كانوا يقتلعون الحجارة الكبيرة المربعة. لكنها تنسى أن تذكر المكان الذي تقتلع منه هذه الحجارة. فإذا كان ثمانون ألفاً يعملون في قلع الحجارة فإن ذلك يعني وجود مساحات شاسعة من مقالع الحجارة. وهذا لم تثبته العلوم الآثارية ولا الدراسات.

وتأخذ التوراة بوصف ما يسمى بيت الرب، فهو حسب قولها يبلغ ستين ذراعاً في الطول وعشرين ذراعاً في العرض وسمك جدرانه ثلاثون ذراعاً. ثم تصف كل أجزائه وصفاً دقيقاً في الأطوال والأمور المتعلقة به.

ولكنْ تستوقفنا خرافة توراتية تقول: ولم يسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد. فكيف تم بناء هذا البيت دون أن تستخدم أدوات للبناء، فلا منحت ولا معول.

ويستمر وصف البيت بعدد من الصفحات. وكأن كاتب التوراة شاهد هذا البيت حجراً حجراً وجزءاً جزءاً، بينما الوقائع تشير إلى أن البعد الزمني ما بين سليمان وبين تدوين التوراة هو أكثر من ثلاثمائة سنة. فلا عزرا الذي دوَّن التوراة رأى ذلك البيت، وحتى الذين عاصروه لم ير واحد منهم ذلك المعبد، ولم يدوّن وصفه حتى يصل إلى عزرا وينقله إلى كتابه.

وتقول التوراة: (وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور. وهو ابن امرأة أرملةٍ من سبط نفتالي وأبوه رجل صوري نحاس) وهذا يعني أن حيرام الصوري هو غير ملك صور المسمى بنفس الاسم. وحيرام الصانع حسب نص التوراة هو نحّاس صنع الأعمدة النحاسية المزعومة للبيت وكذلك صنع التيجان والنوافذ والأبواب، وتقول التوراة إنه استخدم الذهب والنحاس في صناعته.

ثم تصف التوراة ملك سليمان عليه السلام وتصف بناءه للمدن والحصون وتملكه على بعض المناطق كتدمر وبعله وبيت حورون السفلى، وتقول التوراة أنه عمل السفن في عصيرن جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحرسوف في أرض أدوم، واستعان بالبحارة الصوريين لتسيير السفن.

بيت الرب بين الحقيقة والخيال

يقول الدكتور صبري طعيمة (وعند الحديث عن هذا البيت يفيض العهد القديم بآيات الغلو والخيال إلى الحد الذي لم يعمل فيه المؤلف عقله على الإطلاق ليتصور هل إمكانيات القدرة الإنسانية في التحضر واستعمال الأدوات المادية وغيرها يساعد على تقبل هذه الصورة الخيالية الرهيبة أم لا).

ومهما كانت صور التراث الإسرائيلي وتخيلات الراوي حول بناء البيت مما لا يقبل عقلاً فضلاً على الرفض الطبيعي لإمكانيات عصر سليمان. فالمحقق والمعقول أن سليمان ابتنى بيتاً ومحراباً. وكانت فنون العمارة الشائعة تتضاءل بجانبه[1].

ويقول الدكتور أحمد سوسة: أما هيكل سليمان الذي تعده التوراة مثلاً لأوج عظمة الملك سليمان هو من صنع الفينيقيين الصوريين، وقد بني على نمط المعابد الكنعانية كما أن قصر سليمان في أورشليم من صنع الفينيقيين أيضاً، وحتى تسمية الهيكل مأخوذة من كلمة هيكل الكنعانية.

ويرى الدكتور سوسة: والتوراة كتبت في وقت لاحق وكتب أكثرها في الأسر في المحيط البابلي السومري الذي اعتاد أهله وصف أعمال الآلهة الخارقة للعادة على نمط الأساطير الخيالية للتأثير بها على نفوس الجماهير. فقلّد كتبة التوراة الأقوام التي عايشوهم من العهد القديم في وصفهم لعظمة الملكين داود وسليمان على طريقة كتابة الأساطير البابلية السومرية[2].

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين والآثاريين الغربيين يقول بوجود بيت الرب إلا أنهم يبدون رأياً في أساس البناء وزخرفاته وملحقاته.

فكاثرين كانون تقول: ومن الممكن أن نستنتج مخطط هيكل سليمان من الأدلة التي عثرنا عليها في سوريا. فمخطط القصرين في زنجرلي يلائم وصف هيكل سليمان بصورة حسنة ويحتوي على مجموعة من قاعات الاستقبال والحجرات الخاصة

---

(1) د. صبري طعيمة، التراث الإسرائيلي.

(2) د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص 554.

والباحات. أما الأبنية الإدارية الأخرى للمحفوظات وغيرها والتي كانت تشغل المساحات الجديدة فيمكن أن تكون على نمط الأبنية المشابهة في أوغاريت وماري مع أنها أقدم زمناً[1].

بعد كل ما أوردناه من أقوال حول الهيكل الذي تدعي التوراة أنه يُنسب إلى النبي سليمان نتوقف لنناقش الأمر على ضوء ما ادعته التوراة ولفقته.

فهل حقاً هناك هيكل بناه النبي سليمان. وإذا افترضنا أن هيكلاً ما بناه النبي سليمان فهل يمثل مقدساً إلهياً خاصاً باليهود يبيح لهم الاستيلاء على القدس وجعلها عاصمة أبدية للكيان الصهيوني؟

لقد رأينا في التوراة وصفاً دقيقاً لهيكل ما حتى أنها لم تترك شيئاً يخص إلا ذكرته خارجياً وداخلياً.

ونعيد إلى الأذهان ما أوردناه من نص توراتي حيث يقول: (والبيت في بنائه بني بحجارة صحيحة مقتلعة ولم يسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد) ملوك 1 ـ 6. وتقول التوراة: إنه سخر ثلاثين ألفاً في بنائه، فهذا النص في ميزان علم الآثار يقول: إن مثل هذه الحجارة لا تكون بهذا الشكل وهذه الكثافة إلا إذا كانت مشيدة في أبنية ضخمة سبق وجودها وجود أتباع بني إسرائيل، والطبقات الصخرية تدل بشكل قاطع على أن الحجارة التي افترضوا أن النبي سليمان بنى هيكله بها ليست بعيدة العهد عن عصر النبي سليمان. ومن المسلمات الآثارية أن الأقوام التي تخلف من سبقها من الأقوام تستخدم حجارة بيوتها في بناء بيوت جديدة، لكن الواقع يقول إن اليبوسيين العرب سكان القدس الأصليين لم يتركوا بيوتهم وقصورهم.

لكن السؤال المفترض هنا هو ما علاقة المقدس الإلهي بهذا المعبد؟ لقد كان من الممكن أن يختار النبي سليمان أي مكان ليبني هيكله عليه بما أن اختيار المكان هنا هو اختيار بشري وليس اختياراً إلهياً.

ومع الافتراض بوجود ما يسمى الهيكل فإن ذلك أيضاً يستدعي التوقف عند تساؤلات أخرى.

---

(1) كاثرين كانون: الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة، ص 70 ـ 71.

قالت التوراة: إن ثلاثين ألفاً من العَبيد سخروا في بناء الهيكل ولم يشارك في بنائه أي من بني إسرائيل. فمن أين جلب سليمان ثلاثين ألفاً ليبنوا الهيكل؟

لكن التوراة نفسها تقول: إن سليمان سخر عشرة آلاف ليجلبوا خشب الأرز من لبنان وتقول أيضاً: إن ثمانين ألفاً سخرهم في البناء.

فالغريب أن كاتب التوراة يناقض نفسه بنفسه في هذا العدد المفترض هنا وهناك وتدلنا الوقائع التاريخية بعد النبي سليمان أن الهيكل دمّر ولم يبق منه أثر.

وقد دمرت المباني جميعها التي كانت للنبي سليمان وأتباعه ولا سيما الموجودة في مدينة القدس أثناء التحرير البابلي عام 587 ق.م.

ويقول الآثاريون: كان يجب أن يكون هيكل سليمان والقصور خارج مدينة داود لأن حجم البناء الذي تصوره يتطلب المساحة المبنية كلها. ولم يكن التوسع نحو الشمال صعباً لأن السلسلة الشرقية كانت باتجاه التلال ودون فواصل ولكن اعترضت البناء بعض الصعوبات الطبيعية.

وإذا كان الهيكل المفترض بُني حقاً فإننا سنرى النبي سليمان حسب نص التوراة قد استخدم هذا الهيكل لأغراض أخرى غير الأغراض التي تتعلق بدينه وعقيدته، فسليمان حسب قول التوراة يتزوج من ألف امرأة سبع مئة من السيدات وثلاث مائة من السراري (الإماء) وقد اعترفت التوراة أن نساءه أملن قلبه باتجاه آلهتهن فبنى لكل واحدة منهن معبداً أو أقام لكل واحدة صنماً لتعبده وذلك في الهيكل وخارجه. جاء في سفر الملوك الإصحاح 11 (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري. فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى وذهب وراء عشتروت وملكوم وكموش وبنى مرتفعة لهن على الجبل الذي تجاه أورشليم وهكذا عمل لجميع نسائه اللواتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن) ويتضح من هذا الكلام أن الهيكل - إذا وجد - لم يكن له علاقة بتقديس الله.

ويستطيع أي باحث أو دارس للمدونات التوراتية أن يتأكد أن المقدس التوراتي لا يربط بين الإنسان وبين التقديس الإلهي.

ونتابع سيرة النبي سليمان عليه السلام في النص التوراتي حيث تقول:

وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً بجمال حاملةٍ أطياباً وذهباً كثيرة وحجارة كريمة وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها وأخبرها سليمان بكل كلامها. لم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به. قلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان والبيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم...

وتقول التوراة على لسان ملكة سبأ: طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سر بك وجعلك على كرسي إسرائيل لأن الرب أحب إسرائيل إلى الأبد جعلك ملكاً لتجري حكماً وبراً. وتقول التوراة: وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذي طلبت عدا ما أعطاها إياه حسب كرم الملك سليمان فانصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها) الملوك 1 الإصحاح 10.

في هذا النص تحاول التوراة أن تركز على أمور دنيوية وتُبعد دعوة النبي سليمان ملكة سبأ إلى التوحيد بعد أن أُخبر أنها تعبد الشمس من دون الله.

فملكة سبأ تعلم بعظمة ملكه فتأتي لتمتحنه بأشياء ولما رأت عظمة ملكه وخدمه قدمت له الهدايا وعادت إلى بلادها.

وتقحم التوراة أموراً عجيبة في هذا اللقاء، فهي تقول إن الرب أحب إسرائيل إلى الأبد فكيف يصح هذا؟ هل تعلم الغيب حتى تقول الله أحب إسرائيل إلى الأبد.

وتركز التوراة على حكمة الملك سليمان. حكمته في إدارة الحكم وليس حكمته العقيدية فهي تقول طوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك.

وتقول التوراة أعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة وحسب النص القرآني فإن النبي سليمان لم يقبل هديتها وإنما ركز على دعوتها لدين الله الواحد.

على كل حال فإن المتابع للتوراة يرى أنها تتعرض للنبي سليمان بالسوء حين تقول عنه إنه أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات

وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة.

وتتابع قولها: (وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملنَ قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه).

وفي هذا النص حيثيات لابد من التوقف عندها.

1 ـ النبي سليمان ينحاز عن عبادة الله الواحد الأحد إلى عبادة آلهة وثنية تابعة لنسائه وحاشا لنبي أن يقع في مثل هذا التجديف والكفر. فإذا كان الإنسان المؤمن العادي لا يقع في مثل هذا الكفر فكيف بنبي اصطفاه الله ليبلغ رسالة الله إلى الناس. فهذا من تلفيقات التوارة وكفرها وحقد كاتبيها على الأنبياء.

2 ـ تقول التوراة عن الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون. وهذا معناه أن سليمان عليه السلام خالف شريعة التوراة أو شريعة النبي موسى عليه السلام، وهذا محال لنبي.

إضافة لذلك فإن حساً عنصرياً واضحاً يفوح من هذا الكلام، ثم إن سليمان الذي كانت أمه حثيّة وليست من بني إسرائيل صاهر أقواماً من محيطه، وهذا يعني أيضاً أن حقد كاتب التوراة على النبي سليمان جعله زير نساء وليس نبياً كريماً ويضاف إلى ذلك القول بأن أولاد سليمان في أكثريتهم كانت أمهاتهم لسنَ من بني إسرائيل وهذا يعني كذبة صفاء العرق اليهودي الذي يدعي أن اليهود شعب الله المختار. ثم تقول التوراة: ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. كيف كان داود قلبه مع الله وفي نفس الوقت تتهمه التوراة بأنه خطف امرأة أوريا الحثي وزنا بها واعتدى على شرفها وعرضها؟

وتقول التوراة عن النبي سليمان: (فذهب وراء عشتاروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. إذن أصبح سليمان في نظر كاتب التوراة وثنياً يعبد عدة آلهة إرضاءً لزوجاته الوثنيات. وتقول التوارة: حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمّون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحهن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي

تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك).

والمدقق في النص يظن أن سليمان امتلك أرضاً كبيرة وشكل مملكة كبيرة يُحسب حسابها فالتمزيق الذي وعد الله به يوحي بأن تلك المملكة كبيرة ومهمة.

وإذا عدنا إلى كافة الدراسات التاريخية والآثارية نجد أنها تؤكد حجم هذه المملكة في إطارها الصحيح والواقعي.

يقول إسرائيل فنكلشتاين: في الواقع من المستبعد جداً أن تصبح هذه المنطقة المسكونة بشكل متناثر من يهودا وقرية أورشليم (القدس) الصغيرة مركز الإمبراطورية كبيرة تمتد من البحر الأحمر في الجنوب إلى سوريا في الشمال. هل من الممكن لأكثر الملوك شعبية وتأثيراً أن يكون قد تمكن من تجهيز وتحريك الرجال والأسلحة اللازمة لإنجاز مثل تلك الفتوحات الإقليمية الواسعة والمحافظة عليها، ليس هناك بالتأكيد أي إشارة آثارية للثروة أو القوة البشرية أو مستوى التنظيم الذي سيكون لازماً لدعم جيوش قوية حتى لفترات زمنية قصيرة في الميدان[1].

ويقول الدكتور أحمد سوسة: أما الوصف الذي جاء في التوراة واعتاد المؤرخون ترديده عن اتساعه وامتداد حدود مملكة سليمان فيعده أكثر الباحثين من قبيل المبالغات التي درجت عليها دويلات تلك العصور، والحقيقة هي أن مملكة سليمان التي تبجّح اليهود بعظمتها كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسيادها الفراعنة الذين كان أهم ما يهدفون إليه من وراء هذا الإسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر وفي مقدمتهم الآشوريون[2]. ويقول ويلز: من الخير ألاّ تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور. فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث إنه لم

(1) إسرائيل فنكلشتاين: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها ص 190.

(2) د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص 543.

تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على القدس ونهب ما فيها من كنوز.

ويقول متابعاً: إن قصة ملك سليمان وحكمته التي أوردها الكتاب المقدس تعرضت لحشو وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر كان مشغوفاً بالمبالغة في وصف رخاء عصر سليمان مولعاً بتمجيد حكمه)[1].

وهناك العديد من الدراسات الغربية التي تناولت سيرة النبي سليمان من خلال نصوص التوراة وملكه ودولته، وقد أجمعت كافة هذه الدراسات بما فيها دراسة المؤرخين اليهود الجدد أن نصوص التوراة التي تحدثت عن سليمان وملكه هي نصوص كاذبة اعتمدت على خيال أسطوري وليس على واقع وحقيقة، ولعل أهم ما قيل في ذلك:

لا يوجد لسليمان أو داود أي ذكر في أي نص تاريخي واحد مصري أو ما بين النهرين، كما أن الدليل الآثاري على مشاريع البناء المشهورة لسليمان في القدس مفقود تماماً، لقد أخفقت كل التنقيبات الآثارية التي أجريت في القرن 19 والقرن 20 حول جبل الهيكل في القدس في التعرف حتى على مجرد أثر بسيط لهيكل سليمان الأسطوري أو مجمع قصره[2].

علاقة سليمان ببني إسرائيل

من الملفت للنظر أن تناقضاً غريباً يقع في نصوص التوراة التي تتحدث عن النبي سليمان فتارة تقول عنه أنه انحاز عن عبادة الإله الواحد. وتارة تعظم ما أقامه من معبد لهذا الإله. تارة تنسب له حكمة وملكاً وتارة تنسب له أقوالاً مسفّة سوقية وأعمالاً لا يفعلها إلا فاسق زنديق.

وعلى الرغم من هذا وذاك فإن بعض الكلام الذي جاء في أسفار التوراة يوضح أن علاقة سيئة جداً كانت سائدة بين سليمان وبني إسرائيل.

وقد أوضح سفر الملوك الأول في الإصحاحين 12 ـ 14 تلك العلاقة السيئة كما جاء في هذا السفر:

---

(1) د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص 544.

(2) المصدر الأول ص 173.

والواقع أنه عند موت النبي سليمان وخلافة ابنه يربعام له طالب الشماليون بتخفيف الأعباء عنهم، لكن رحبعام المتغطرس رفض نصيحة مستشاريه المعتدلين وأجاب الشماليون بالكلمات المشهورة الآن: (أبي ثقّل نيركم وأنا أزيد على نيركم أبي أدّبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب).

وجاء قبل هذه الفقرة قول التوراة: (إن أباك قد قسّى نيرنا وأما أنت فخفف الان من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا) مل 1 12: 4 ـ 5 وتصف التوراة عدداً من جرائم القتل التي ارتكبها سليمان منذ توليه الحكم وحتى نهايته. فقتل بعض إخوته وبعض كبار رجال الإسرائيليين، ولاحق يربعام أحد أعضاء محكمة سليمان وأراد قتله فهرب إلى مصر.

وقد وصف كاتب التوراة سليمان بأنه مسرف مبذر. فقال عنه: (كان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرسميذ. وستين كر دقيق. وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المراعي ومئة خروف ما عدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمّن).

ويؤكد كاتب التوراة: أن النبي سليمان على حد زعمه قد استهان بالرب وتعاليمه الصريحة القاضية بعدم الزواج من غير الإسرائيليات حتى لا تميل قلوب شعب إسرائيل إلى أوثانها وأرجاسها. فتحدى سليمان هذه النواهي وتعدى حدود الله وتزوج من أجنبيات وهذا ما لم يرق لبني إسرائيل.

وحسب التوراة فإن سليمان يتمادى في فعل الشر في عيني الرب ولا يبالي بغضب الرب أو رضاه، المهم أن يرضي نزواته وملكه وشهواته.

(وهنا يكشف واضع هذه الكتب الفريسي الكاذب غرضه في تلطيخ بيت داود وسليمان وهو انتزاع كرسي المملكة منهما ثم توسد سيادتها لهم. إذ تضييع اجتراح السيئات وتضييع عهد الرب هي تمزيق المملكة من أيدي داود وسليمان وهنا يحقق كاتب التوراة غرضه من مؤامرته على بيت داود وسليمان)[1].

وينسب إلى النبي سليمان أسفار أخرى من التوراة وأهمها سفر الجامعة وسفر الأمثال وسفر نشيد الأنشاد. وعندما نطالع نشيد الأنشاد ندرك كم كان كاتب التوراة

---

(1) د. محمد عبدالله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص 226.

حاقداً على النبي سليمان. فهو يشوهه تشويهاً بالغاً يصل إلى حد وضعه مكان إنسان ماجن سفيه وليس له علاقة بالأخلاق.

جاء في أحد مقاطعه:

ما أجمل رجليك بالنعلين
دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صناع
سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج
بطنك سبرة حنطة مسيّجة بالسوسن
ثدياك كخشفتين توأمي ظبيٍ
عنقك كبرج من عاج
عيناك بالبرك في حبشون عند باب بث ربّيم
أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق
رأسك عليك مثل الكرمل
وشعر رأسك كأرجوان
ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللّذات
قامتك شبيهة بالنخلة وثديك بالعناقيد
قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها
وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح
وحنكك كأجود الخمر
حبيبتي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين

فهذا النص يصور إلى أي مدى وصل حقد التوراتيين على سليمان. فبدل أن يكون مثلاً أعلى لبني إسرائيل أصبح مثلاً للشذوذ الجنسي والشذوذ البشري العام.